المحاضرة الثانية 1/1

التأويل عند فيلون الإسكندري

كما سبق وأن أشرنا أن التأويلية ارتبطت في بداية بالنص الديني، وجاءت كتعبير عن الحاجة إلى فهم طبيعة النصوص وكيفية تفسيرها واستعمالها، خاصة النصوص الدينية مثل الكتابات المقدسة أو النصوص الفقهية والتي كانت تضطلع إلى معارف مختلفة، مثل **علم الكلام أو اللاهوت.** وسرعان ما تجاوزت التأويلية هذا المعنى الضيق لتشمل قراءة النصوص بشكل عام أيا كانت طبيعة هذا النصوص.

يجدر الإشارة أن كثير من الفرق الكلامية والفلسفية والصوفية لجأت إلى التأويل. فعمدت الفرق الباطنية إلى تأويل النصوص الظاهرة في التوراة والإنجيل والقرآن بمعان باطنة، وعدّت النصوص والشعائر الدينية رموزاً لحقائق خفية. ويعتبر **فيلون Philon** اليهودي السكندري رائد النزعة التأويلية، واضطره إلى ذلك النقد الشديد الذي تعرضت له قصص التوراة من الفلاسفة اليونانين، **فشرح** التوراة كما شرح الإغريق **هوميروس** منذ زمن بعيد، وفق المنهج الرمزي المجازي، وكذلك على غرار شرح الفيثاغوريين والأفلاطونيين والرواقيين لقصص الميثولوجية وعبادات الأسرار. مما دفع الفيلسوف اليهودي **فيلون السكندري** إلى استخدام التأويل الرمزي للتوفيق والمزج بين التراث الفلسفي والدين اليهودي ومنه **كيف استخدم فيلون السكندري التأويل الرمزي في فهم النّصوص التوراتية؟ وما هي الدلالات الرمزية التي خص بها هذه النّصوص؟**

لقد ألف **فيلون السكندري** عدداً كبيراً من الكتب الفلسفية والشروح التوراتية، وجميعها باليونانية، أهمها «**في خلق العالم**»، وتأويل سفر التكوين. وانطلق من مقدمة منهجية كبرى، وهي **وحدة الحقيقة الفلسفية،** كما تبينت عند أفلاطون، والحقيقة الدينية الواردة في التوراة في نظر فيلون. إلا أنه كان يقف في تأويله للإلهيات عند حدود الشريعة لا يتعداها، ولذلك أقبل فلاسفة المسيحية على كتبه بوصفها تقويماً دينياً للفلسفة اليونانية، ومحاولة جديرة وصريحة بالمحاكاة لتأويل الأناجيل تأويلاً فلسفياً.

فالكتب السماوية موجهة بتعاليمها إلى جميع الناس العامة منهم والخاصة، ولهذا فهي تقوم باستخدام الأمثلة والصور والرموز لإيصال المعنى للناس، **مما جعل وجود اختلاف في فهم هذه النصوص بين من يأخذ بالظاهر وهم العامة ومن يأخذ بالباطن وجوهر معانيها وهم الخاصة**، وهذا ما يجعل التأويل ضروري لفهم حقيقة النصوص، إلا أن **فيلون** يميل إلى الأخذ بالمعنى الرمزي على حساب المعنى الحرفي.

لقد كان لتطور مفهوم التأويل في العصر اليوناني دور فعال في تفسير النصوص المقدسة وتطورها ومن ثمة تنوعها مما فتح المجال أمام تعدد القراءات ومن ثمة التفسير، سواء تعلق الأمر بالديانة اليهودية أو الديانة المسيحية، وهذا ما سيكون له أثر في تفسير النص المقدس في العصر الوسيط.

لقد استقرار يهود كثيرين في مصر، حيث عاش الآلاف منهم في مدينة الاسكندرية. لكن رغم هذا التعايش كان هنالك خلافات بين هؤلاء اليهود وجيرانهم اليونانيين. ويعود ذلك الإختلاف لرفض اليهود عبادة الآلهة اليونانية في مقابل ذلك سخر اليونانيون بالأسفار العبرانية. هذا ما دفع **فيلون** للنظر الى ثقافة اليونانية من جهة ونشأته اليهودية، حيث كان فيلون على علم بطبيعة هذه الخلافات معتبرا ان الديانة اليهودية هي الديانة الحقة. لكن بخلاف الاسلوب الذي اعتمده كثيرون قبله، حاول **فيلون** ان يجعل الديانة اليهودية مقبولة في نظر اليونانيين.

قبل التطرق إلى ذلك يجب التوضيح بأن اليونانية كانت هي لغة **فيلون** الأم، شأنه في ذلك شأن يهود كثيرين في الاسكندرية. لذلك اعتمد في ابحاثه على الترجمة **السبعينية اليونانية للاسفار العبرانية**. وبعد ان تفحّص هذه الترجمة للنص المقدس ، اقتنع ان **الاسفار العبرانية** تحتوي مفاهيم فلسفية وأن موسى كان «فيلسوفا نابغة».

إذا كان لابد من الحديث عن الفكر الفلسفي اليهودي في نهاية حضارة اليونانية، فلا يوجد أعظم من **فيلون** الاسكندري، فيمكن اعتبار **فكر فيلون** الحلقة المهمة التي حاولت الربط بين الوحي الالهي في اليهودية والفلسفة الميتافيزيقية لدى اليونان. حيث يقال إن

فلسفته تركت اثرا كبيرا من ناحية نقل الفكر اليهودي من الوحي وقصص الانبياء الى الفكر الفلسفي. لقد وصفه الكاتب اليهودي **هرونيموس)** بلقب افلاطون اليهود.

ولد **فيلون** في الاسكندرية التي حوالي 20 ق م و توفى 70 م، وكان مشبع بالثقافة اليونانية السائدة في ذلك العصر في الاسكندرية من جهة، وكان مثقفا جيدا في الديانة اليهودية والفلسفة الاغريقية من جهة اخرى، كان اسلوبه باللغة العبرية أسلوبا جيدا، ولكن في اليونانية كان اسلوبه بليغا، بحيث راح المعجبين به يقولون: " **كان افلاطون يكتب كما يكتب فيلون**".

إلا أن اهمية فيلون الاسكندري تكمن في نظر المؤرخين والفلاسفة في محاولته **للتوفيق بين محتوى كتاب التوراة المبني على الوحي الالهي والايمان بالله خالق الذي يهتم بالإنسان من جهة والفلسفة الميتافيزيقية (مثل نظرية المُثل لأفلاطون) من جهة اخرى،** كذلك يعتبر أحد المصادر المهمة في تفسير اللاهوتي الديانة اليهودية والمسيحية في القرون الاولى من المسيحية حيث كان له انتاجا غزيرا قارب **57 مؤلف.**

يجدر بنا الإشارة أنه قبل **فيلون** بقرون، وجد المفكرون اليونانيون ان قصص الآلهة — وأنصاف الآلهة في الاساطير اليونانية القديمة — منافية للمنطق يصعب للعقل أن يستوعبها. فبدأوا بإعادة **تفسير** هذه القصص القديمة. حيث شرح العالم الكلاسيكي **جايمس دراموند** على طريقتهم في التفسير تلك القصص قائلا: «**يبدأ الفيلسوف بالبحث عن معانٍ غامضة مخبأة في طيات القصص الاسطورية، ثم يحاول ان يستدل من فظاعة هذه القصص ومحتواها الذي ينافي العقل ان مؤلفها لا بد انه تعمّد استعمال الصور المجازية المثيرة بغية التعبير عن حقائق عميقة** ». ويُعرف هذا الاسلوب بالطريقة الرمزية او المجازية، وهي الطريقة التي حاول فيلون استعمالها في تفسير الاسفار المقدسة.